الترجمات العربية المتلاحقة للكتاب المقدس
شهادة على همّ علميّ وكنسي متواصل

الأب أيوب شهوان

مقدمة

شهدت منطقة الشرق الأوسط حركة نقلٍ للكتاب المقدس، جزئيًّا أو كلّيًّا، إلى العربية، منذ البدايات، يشهد على ذلك ما نقرأه في المؤلّفات العربية القديمة من إشارات مباشرة وغير مباشرة إلى وجود ترجمات سابقة لمجيء الإسلام، وإلى وجود ما يثبت ذلك من استشهادات بالنصوص البيبلية تَرِدُ في هذا المؤلَّف أو ذاك، أو أيضًا إلى توفّر إثباتات صريحة ومادية لهذا الأمر. فلقد حفظت لنا بعض المخطوطات ترجمات عربية للكتاب المقدس، لكنّها مخطوطات متأخرة، ترقى في غالبيتها الساحقة إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي، ونادرة هي المخطوطات التي ترجع إلى ما قبل هذا التاريخ. نستنتج منها أن **الترجمات كانت جزئية** في البداية، إذ إنّ المخطوطات التي تحتوي على كل الكتاب القدس غير متوفّرة إلاّ قليلاً جدًّا. هذه الترجمات الجزئية العديدة هي غير متجانسة، ومبعثرة في مكتبات الشرق والغرب. حتى الآن لم يتم أي عمل جامع لها. ونستنتج أيضًا أنّ هذه **الترجمات متنوعة**؛ فلقد تمّ تحقيقها إمّا نقلاً عن العبرية، وإمّا عن اليونانية، كما أيضًا عن القبطية أو اللاتينية، أو السريانية، الخ.

حقق هذه الترجمات إمّا يهود، وإمّا مسيحيون ينتمون إلى هذا أو ذاك من الطقوس أو إلى إحدى الكنائس الشرقية، من كاثوليك أو أرثوذكس، من نساطرة أو من تباع المشيئة الواحدة، الخ.

في هذا الوضع المتشعّب والمختلط، بإمكاننا أن نتصوّر إلى أيّ حد تأثّرت الترجمات العربية الواحدة بالأخرى، وكم أن نصوصها هي آخر الأمر نوعٌ من المزيج.

١ - مخطوطات نسخٍ عربية للكتاب المقدس (بين القرنين التاسع والثالث عشر)

هناك ثماني ترجمات للعهد الجديد[١] (وأحيانًا لكامل الكتاب المقدس) في العربية، تمّ تحقيقها بين القرنين التاسع والثالث عشر. سنورد في ما يلي كلاًّ منها مع مميزاتها بالإيجاز:

١) دياتسّارون تاسيان (Diatessaron de Tatian)

ألّف تاسيان إنجيلاً واحدًا من الأناجيل الأربعة، سنة ١٧٢م، تضمّن ٥٥ فصلاً، ما عدا حياة يسوع وموته وصعوده. اعتمدت الكنيسة السريانية هذه الترجمة طويلاً، ثم تخلّت عنها، في حين أنها حُفِظَت في الأرمنية والعربية. ويُعتَقَد أن النسخة الأرمنية قد حفظت النص بأمانة، أما العربية فتحتفظ باختيار الأعداد وترتيبها، ولكن يُعتَقَد أن النص العربي قد نُقِل عن البشيطتا السريانية. إن التعمّق في نص الدياتسارون العربي يسمح بتبيُّن وجود تأثير سرياني غير البشيطتا.

٢) نسخة الفاتيكان العربية رقم ١٣

هذا المخطوط هو أول نسخة معروفة للأناجيل في العربية. نسخه خمسة

(١) Ignazio GUIDI, " Le traduzioni degli Evangeli in arabo e in etiopico ", Atti della Regia Academia dei Lincei, anno CCLXXV (1888), serie IV, classe di scienze morali, storiche e filologiche, vol. IV, parte I, memorie, 5-31, spec. 24 e 30.

مختلفون، يستعمل الأول الخط الكوفي معدّلاً، ويبدو أنه يرقى إلى القرن التاسع. من المرجَّح أن تكون هذه الترجمة قد حُقِّقَت قبل هذا التاريخ، ولكن ينبغي التدقيق في الأمر. ملفت للنظر في هذه الترجمة استعمال التسمية «ألوهيم»، عوضًا عن «الله»، والسبب غير واضح، لكن قد يكون أن المسيحيين الناطقين في العربية كانوا متأثرين بالعبرية القريبة أساسًا من العربية، ووجدوا فيها التسمية المرادفة لكلمة «ثِيُوس» اليونانية التي عنها تمّ نقل هذا النص القيِّم، كونه أولَ نسخة عربية معروفة للأناجيل.

٣) مخطوطة سيناء رقم ١٥١ العربية

تُعتَبَر هذه المخطوطة، الموجودة في دير القديسة كاترينا في سيناء، أقدمَ ترجمة إلى العربية نعرفها لرسائل بولس، وأعمال الرسل، والرسائل الكاثوليكية. الخط قريب من الخط الكوفيّ، ويخلو في الغالب من النقاط على الحروف. هي ذاتُ أهميةٍ كبرى، لكونها تتضمن تعليقات على النص لبُشْر بنِ السرّيّ، مُدرَجَة بين الخطوط وفي حواشي الصفحات.

٤) نسخة الفاتيكان العربية رقم ٧١

يرقى هذا المخطوط على الأرجح إلى القرن التاسع أو إلى ما بعد ذلك. يشبه نص النسخة العربية الفاتيكانية رقم ١٣، والأرجح أنه نُقِل عن اليونانية.

٥) نسخة الفاتيكان العربية رقم ٩٥

هناك نسخة أخرى عن هذه الترجمة في برلين. تشتمل هذه المخطوطة على الأناجيل، وقد لحق بها ضرر كبير من جرّاء تبللها بالماء، وتضرّر كل صفحاتها. لحروفها انحناءة شبيهة بانحناءة الحروف السريانية.

٦) أبو الفرج عبدالله بن الطيب († ١٠٤٣)

أبو الفرج عبدالله ابن الطيب العالِم الكبير، الطبيب، والمؤرّخ، والمترجم، والمفسِّر، عاش في بغداد في القرنين العاشر والحادي عشر، وتوفي سنة ١٠٤٣. نقل الأناجيل شخصيًا إلى العربية، ثم شرحها شرحًا وافيًا وغنيًّا بالقصص الرمزية. ومن شبه المؤكّد أنه، في شرحه لكل أسفار الكتاب المقدّس كان يعرّب النصّ البيبلي، خاصة عن البشيطتا، حيث نشهد نقلاً حرفيًّا من السريانية إلى العربية، يدلّ على أن ابن الطيب يسيء أحيانًا فهم الكلمة السريانية بِبُعْدِها البيبليي.

٧) الترجمة القبطية

هي محفوظة في المخطوط الفاتيكاني القبطي رقم ٩، مكتوبة بالقبطية والعربية. تمّ نسخها سنة ١٢٠٥ من أجل الرهبان القاطنين في دير مار أنطونيوس في الصحراء الواقعة قرب البحر الأحمر. على جوانب المخطوط دُوِّنَت ملاحظة تلفت نظر الرهبان إلى وجوب ترك المخطوط في مكتبة الدير، وقراءته هناك، وعدم أخذه إلى قلاّياتهم. باعها أحد تجّار المخطوطات إلى الفاتيكان في القرن الثامن عشر. هي النص العربي الرئيسي الذي استعملته الكنيسة القبطية قرون عدة.

٨) هبة الله ابن العسّال (١٢٥٢)

كان هبة الله مترجمًا للأناجيل ومفسِّرًا لها. جمع في أواسط القرن الثالث عشر اثني عشر مخطوطًا من المخطوطات العربية للعهد الجديد، فتبيّن له أنها مختلفة الواحدة عن الأخرى. لذلك استنبط ثمانية وعشرين رمزًا استطاع بواسطتها أن يشير إلى هذه المخطوطات وإلى تباينها. حواشي ترجماته ملأى بالألوان. فُقِدَت الترجمة الأصلية، ولكن راهبًا يُدعَى جبرائيل كان قد نسخها سنة ١٢٦٠، وهي محفوظة في المتحف البريطاني؛ تتضمن هذه النسخة

الأناجيل الأربعة. هناك ٢١ نسخة عن هذا المخطوط في عدة مكتبات، ولكنها كلها دون التعليقات المذكورة أعلاه، باستثناء تلك التي في لندن.

مما تقدّم نستنتج ما يلي:

هذه الترجمات العربية البيبلية التي عرضنا بالإيجاز هي عيّنات ليس إلاّ عن الترجمات العديدة المحفوظة، علمًا أن يد العبث والحروب والإهمال جعلت أن العديد من الترجمات التي تُذكَر في بعض المؤلفات لم يبقَ لها أثر.

تواصلاً مع الحقبات السابقة، شهدت الفترة الممتدة من القرن التاسع وحتى الثالث عشر ازدهارًا في تحقيق نقل العهد الجديد إلى العربية.

تزامن نشاط نقل الكتاب المقدس إلى العربية مع انتعاش الكنيسة الناطقة بالعربية ومع إنتاجها أدبًا لاهوتيًا لا بأس به.

تُعتَبَر الفترة الممتدة من القرن التاسع وحتى الثالث عشر الفترة التي ترجم المسيحيون الناطقون في العربية الكتاب المقدس مرات عدّة إلى لغتهم.

إنّ نقل الكتاب المقدس إلى العربية عملٌ حيويّ وهامّ بالنسبة إلى الكنيسة، وهو يشكل بحدّ ذاته نوعًا من التفسير؛ فعند مصادفة جملة أو كلمة غير مفهومة أو غير واضحة، هو الناقل مَن يقرّر معناها.

كان نقل الأناجيل في تلك الفترة بأسلوب مسجَّع أمرًا شائعًا، وهذا ما فتح الباب أمام إضافة كلمة هنا وكلمة هناك في عملية النقل ليكون الوزن الشعريّ صحيحًا. هكذا يصبح النص العربي المنقول شعرًا وسجعًا، نوعًا من التفسير غير المباشر له.

٢ – الترجمات المشرقية القديمة للكتاب المقدس

١) **حُرِّرَت معظم كتب العهد القديم** باللغة العبرية، لغة بنى إسرائيل؛ وحُرِّرَت

أجزاء قليلة منه (عزرا ٤:٨ إلى ٦:١٨، ٧ وإرميا ١٠:١١ ودانيال ٢:٤ إلى ٧:٢٨) بالآرامية التي كان يتكلّمها يسوع.

٢) **أما أسفار العهد الجديد فحُرِّرَت** باللغة اليونانية (الكُوْيْنِي، Koine) العامّة التى كان يتحدّث بها ويفهمها الناس، والمنتشرة فى أنحاء الأمبراطورية الرومانية حيث أنها كانت لغة العلم فى القرون المسيحية الأولى، والتي كانت منتشرة في الشرق منذ انتصارات الإسكندر، وهي اللغة ذاتها التي استعملت في الترجمة السبعينية لأسفار العهد القديم.

كانت هناك حاجة ماسة إلى نقْل الكتاب المقدس إلى لغات أخرى حتى يستطيع أهل البلاد التى وصلتهم البشرى السّارّة أن ينشروها بين مواطنيهم، كما كانت هناك صعوبة فى فهم المسيحية باللغات التى كتبت بها فى الأصل، فترجم الكتاب المقدس، ممّا أدّى إلى انتشار المسيحية حتّى غطت معظم أنحاء العالم؛ كما أنه كان هناك سبب آخر، وهو أن اليهود استوطنوا فى بلاد كثيرة وتحدّثوا بلغاتها .عرف الكتاب المقدس إذًا ترجمات كثيرة، من بينها:

٣) الترجمة الأرامية (كتب الترجومات)

كانت المجامع اليهودية تمارس ترجمة شفوية من العبرية إلى الآرامية منذ القرن الرابع قبل الميلاد؛ وترجع هذه الترجمة الشفوية إلى زمن عزرا ونحميا اللذين، لمّا عادَا إلى أورشليم بعد السبي، وجدَا أنّ الشعب قد غدا عاجزًا عن فهم العبرية، فاضطرَّا إلى قراءة الأسفار بالعبرية وترجمتها ترجمة شفوية إلى الآرامية التى يتكلم بها الشعب حتى يفهم ما يقوله الربّ الإله. ومع الوقت دُوِّنَت هذه الترجمات فى كتب دعيت «ترجومات».

٤) الترجمة السبعينية

من الترجمات القديمة التي نعرفها عن أسفار العهد القديم، الترجمة المعروفة بـ«السبعينية»، التي تمّت في الإسكندرية في القرن الثالث ق. م. التي وُضِعَت

لصالح اليهود القاطنين خارج أرض فلسطين، حول حوض البحر الأبيض المتوسط، والذين كانوا يتكلّمون اليونانية، بعد أن نسوا لغتهم العبرية الأمّ. كانت هذه الترجمة معروفة في العصر الرسوليّ، ومن المؤكد أن الرسل قد استعملوها في تبشيرهم حيث دعت الحاجة، وبها حرّر كاتبو العهد الجديد نصوص هذا الأخير.

٥) الترجمة البشيطتا

من أقدم الكنائس التي نشأت في الشرق الأوسط، هي الكنيسة السريانية، وقد شعر أبناؤها بضرورة ترجمة الكتاب المقدس إلى لغتهم الخاصة. وممّا عُثِر عليه ترجماتٌ عديدة بهذه اللغة، ومن أشهرها الترجمة التي تدعى «بشيطتا»، أي «بسيطة»، التي ترقى إلى أواخر القرن الأول أو إلى بداية القرن الثاني للميلاد.

٦) الترجمة القبطية

تشير الوثائق التاريخية إلى أنّ أهل مصر كانوا يقرأون الكتاب المقدس باللغة القبطية قبل النصف الأول من القرن الثالث ب. م. هذه اللغة مركبة من لغتين، المصرية القديمة واليونانية، ويعتقد أن العهد القديم ترجم إليها من السبعينية في القرن الثاني والثالث ب. م.

هذا بالإيجاز ما نعرفه عن الترجمات القديمة للكتاب المقدس في منطقتنا. ومما لاشك فيه، أنه توجد ترجمات أخرى لم يحدد بعد تاريخ ترجمتها، وتتطلّب مواصلة البحث والدراسة. وقد ذكرنا هنا بالإيجاز القليل والأكثر شهرة، لأنّ بعضها كان في أساس النقل لبعض الترجمات العربية.

٣ – الترجمات العربية للكتاب المقدس

تشير الكتب المقدسة إلى شعوب ذاك الزمان العربية في بلاد العرب. فاستنادًا إلى بعض النصوص البيبلية، أقام موسى ٤٠ سنة في بلاد العرب عند يترو المِدْيَني

(خر ١٥:٢-١:٣؛ أع ٢٩:٧ و٣٠). لاحقًا، وقع حدث استثنائيّ وهامّ جدًّا في بلاد العرب، على جبل سيناء، في جنوب شبه الجزيرة التي تحمل ذات الاسم: هناك أعطى يهوه الشريعةَ إلى بني إسرائيل الذين كانوا قد التأموا في ذاك المكان بعد تحريرهم من مصر (خر ١:١٩ و٢). ذكّر بولس بهذا الحدث، بعد خمسة عشر قرنًا على ذلك، بقوله إنه حصل في «سيناء، وهي جبل في بلاد العرب» (غل ٤:٢٥).

من جهة ثانية، المأساة التي يورد خبرها سفرُ أيوب، إطارها هو بلاد عوص، في شمال بلاد العرب (أي ١:١)، والناهبون الذين من سبَأ الذين نهبوا خيرات «الشخص الأعظم بين كل بني المشرق»، كانوا ينتمون بدون شك إلى قبيلة عربية كان جدها يقطان (أي ١:٣؛ تك ١:٢٦-٢٨). ويبدو أن أصدقاء أيوب الذين جاؤوا يعزّونه، مع أليهو، قد أتوا من مناطق بلاد العرب (أي ٢:١١؛ ٣٢:٢).

عرفت الجزيرة العربية قبل الإسلام، الديانة اليهودية، إذ كان عدد كبير من اليهود قد هاجر إلى الجزيرة العربية بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ ب. م. على يد القائد الروماني تيطس، فاستوطنوا في عدة جهات منها. كما كانت في يثرب (المدينة المنوّرة) جالية كبيرة منهم. فعمل هؤلاء على نشر تعاليم العهد القديم بين القبائل العربية، وراجت أفكار دينية وقصص مستوحاة من التوراة في المجتمع العربي، كما أدخلت إلى اللغة العربية مصطلحات دينية جديدة لم تعرفها من قبل. واستنادًا إلى جرجي زيدان، يبدو أن التوراة قد ترجمت إلى العربية كلها أو بعضها قبل الإسلام(٢).

إلى جانب الديانة اليهودية في الجزيرة العربية، كانت هناك بعض القبائل المسيحية العربية. يخبرنا سفر أعمال الرسل عن نشوء جماعات مسيحية هناك، وعن أن شاول ذهب بعد اهتدائه إلى بلاد العرب، حيث قضى ثلاث سنوات.

(٢) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، المجلد الثاني.

تشير بعض المصادر الإسلامية، مثل **صحيح البخاري ومسلم، وأبي الفرج الأصفهاني** إلى أنّ القس ورقة بن نوفل كان ينقل الإنجيل من العبرانية إلى العربية(٣).

في زمن المأمون، عصر الترجمة، نُقِلَت التوراة إلى العربية على يد أحمد بن عبد الله بن سلام ما بين القرنين الثامن والتاسع.

في سنة ٧٥٠ م قام يوحنا أسقف إشبيلية في أسبانيا بترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية إلى العربية لمساعدة المسيحيين المغاربة في الأندلس.

أمّا ترجمة سعدية فهي أقدم ترجمة عربية للتوراة؛ إنها **ترجمة سعدية بن هاغاوون الفيّومي** (٨٩١–٩٤١)، وهو يهودي مصري، ومدير (غاوون) مدرسة سورا الربينية التلمودية في بابل. ارتكزت هذه الترجمة على العبرية، وأثّرت تأثيرًا كبيرًا على الترجمات اليهودية اللاحقة. ومن المرجح أنه ترجم أيضًا أيوب والأنبياء الصغار والمزامير. ترجمته ليست دقيقة، بل تشبه بإسهابها ما في الترجوم. وُجِدَت مخطوطات عديدة لـ«توراة سعديّة» في خط عبريّ (باريس، أوكسفورد، فلورنسا، لايدن)، مصدرها مصر وسوريا وآسيا الصغرى. جُعِل البنتاتوكوس في بوليغلوتّا باريس ولندن، بعد أن وُضِع في بوليغلوتا إسطنبول سنة ١٥٤٦ في إطار التوراة الرباعية اللغات: العبرية، العربية، والفارسية، والآرامية.

وجاء في بعض المصادر أن علماء اليهود في الإسكندرية ترجموا أسفار التوراة، وقطعًا وفصولاً منقولة عن التوراة السريانية إلى العربية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر

ونشير بشكل عابر إلى الترجمة العربية **للمزامير**. ترجم سفر المزامير إلى العربية عبد الله بن الفضل في القرن الثاني عشر. وهناك جزء من مخطوط على

(٣) راجع، على سبيل المثال، أبو موسى الحريريّ، **قس ونبي. بحث في نشأة الإسلام** (١٩٧٩) ١٢–٩٢.

جلد اكتشفه برونو فيوليه سنة ١٩٠١ في قبة الخزانة في الجامع الأموي في دمشق، يحتوي على المزامير ٢٠، ٣١، ٥١، ٦١ و٧٧. إستنادًا إلى خط المخطوط، يرقى هذا الأخير إلى القرن الثامن م.، وقد يكون سوريّ المنشأ. ومن المحتمل أن يكون نسخة عن ترجمة أقدم. يتضمن النص اليوناني للمزامير المذكورة، ومقابله النص العربي.

٤ – حركة تعريب الكتاب المقدس وطباعته في القرنين السادس عشر والسابع عشر

تميّز القرنان السادس عشر والسابع عشر في لبنان والشرق الأوسط بحركة دينيّة وثقافيّة، وخاصة بيبليّة لأنّ الهمّ الأوّل في هذه الحركة كان الكتابَ المقدّسَ بالتحديد؛ هكذا شكّلت المقارنةُ بين مختلف ترجمات الكتاب المقدس إمكانيّةً للإضاءة على المقاطع المبهمة فيه أو التي هي عنصر جدال؛ فإلى جانب الرغبة النابعة من الإيمان بفهم الكتاب المقدس، كان هناك همّ الوقوف في وجه هذا أو ذاك من أصحاب التيّارات أو إقناعه. ففي الجدل الذي كان قائمًا بين الكاثوليك وبين الحركة الإصلاحيّة الناشئة، شكّل الكتاب المقدّس علّةَ فراقٍ، لكن أيضًا وبالمقابل نقطةَ لقاء. كان الفريقان يَرْجُوَانِ أن يجدَا في الترجمات الشرقية العربية ما يثبت ما به يؤمنان.

١) أناجيل ربنا يسوع المسيح الأربعة العربيّة (روما، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٦١٩)

في الحقيقة، التاريخ الصحيح لصدور طبعة سنة ١٦١٩ هو سنة ١٥٩١، كما نقرأ في آخر الكتاب، حيث يشير الناشر إلى بعض الأخطاء المطبعيّة.

الأناجيل الأربعة، في اللغة العربيـة، صدرت أوّلاً سنة ١٥٩٠، وكان عدد النسخ ١٥٠٠، تحت عنوان: **الأناجيل الأربعة المقدسة لربنا يسوع**

المسيح[٤]، تبعتها، سنة ١٥٩١، طبعة في اللغتين العربية واللاتينية، وكان عدد نسخها ٣٥٠٠. لعب دورًا بارزًا في هذا الإنجاز يعقوب بن هلال[٥] الماروني الذي أسهم في أول طباعة للأناجيل في ترجمة عربية، التي تمّ تحقيقها انطلاقًا من نص مخطوط عربيّ وفق النص الإسكندريّ المدعوّ «الفولغاتا»[٦]، تيمّنًا باللاتينية الشائعة. كان يعقوب هذا من تلامذة المدرسة المارونية في روما؛ أسّس لاحقًا مطبعةً خاصّةً به، صدر عنها خمس كتب، منها كتاب القداس. لا معلومات عنه بعد سنة ١٦٠٠[٧].

يبدأ نص الأناجيل الأربعة في ص ٩، وينتهي في ص ٤٦٢؛ هذا ما طُبع بالفعل سنة ١٥٩١، لأنّ مدير المطبعة، ج. ب. رايْمُونْدِي (G. B. Raimondi)، ترك الصفحات من ١ إلى ٨ لتتضمّن إهداءً إلى مَن رعى هذه الطبعة.

النص العربي هنا هو إذًا طبعة ثانية؛ فالأناجيل كانت، في الواقع، قد نُشرت تحت شكلَين: النص العربي وحده في المرّة الأولى، ثمّ النص العربي مع اللاتيني على طريقة البَيْسَطْرِيّة في المرّة الثانية. إنّ طبعة الأناجيل في العربيّة، التي ظهرت سنة ١٥٩١، هي أوّل كتاب تنشره المطبعة المديتشيّة التي كان فرديناندو المديتشي قد أسّسها سنة ١٥٨٤، وكان كاردينالاً قبل أن يصبح الدوق الأكبر لتوسكانا. إنّ جمال هذه الطبعة مردُّه إلى الأحرف العربيّة التي حفرها روبير غرانجون، وإلى اللوحات الخشبيّة التي تحمل توقيع أنطونيو تِمْبِّسْتَا؛ نجد بعضًا من هذه اللوحات في **كتاب الصلاة الكلداني**، الذي نشره، سنة ١٧٦٧، مجمعُ

---

(٤) Sacrosancta Quatuor Iesu Christi Domini Nostri Evangelia.

(٥) يُعرف في الإيطالية باسم Giacomo LUNA

(٦) Ignazio GUIDI, op. cit.

(٧) Nasser GEMAYEL, " Les imprimeries libanaises de Rome ", in Exposition. Le livre et le Liban jusqu'à 1900, ouvrage publié sous la direction de Camille Aboussouan, Beyrouth 1982, pp. 190-192.

انتشار الإيمان الذي ورث قسمًا من أدوات مطبعة آل مديتشي. سيُعيد جبرائيلُ الصهيونيّ استعمالَ نصِّ الأناجيلِ العربيّ هذا في **بوليغلوتا لُو جاي** (Le Jay).

إن إعادة استعمال أناجيل طبعة آل مديتشي في بوليغلوتّا باريس، حتى ولو بعد تصحيحها، تبيّن جيّدًا أنّ طبعةً جزئيّةً للكتاب المقدس في العربيّة، إن كان الاناجيل أو كتاب المزامير، شكّلت محطّة نحو تحقيق كتاب مقدس في عدّة لغات، وهو مشروع كان ج. ب. رايموندي من أوائل الذين فكّروا فيه جدّيًّا. إنّ الترجمة اللاتينية، التي كانت إلى جانب النصّ العربيّ، قد سمحت للمستشرقين المسيحيّين بمعرفة الترجمة العربية للأناجيل.

٢) البيبليا البوليغلوتّا، ١٦٤٥

إنّ نَشْرَ الكتابِ المقدس في لغاتٍ عدّة، المعروفة **بالبيبليا البوليغلوتّا**، التي طُبِعَت سنة ١٦٤٥، هو نوع من النجاح للذين حقّقوا هذا الإنجاز العظيم الذي صدر في عشرة أجزاء. ولكنّ النزعة الكاثوليكيّة التي يمكننا القول بأنها كانت متشدّدة، وَجَّهَتِ النقدَ إلى هذه الطبعة، بحجّةِ أنّ الناشرين لم يعتمدوا الترجمةَ اللاتينيّة أساسًا لنصّهم، وبالتالي لا تتمتّع البوليغلوتّا المذكورة بالسلطة المرجعيّة التي أُريدَت لها. هذا يُفسّر السبب الذي لأجله صدرت طبعة أُولى في العربية للأناجيل فقط أولاً، سنة ١٥٩٠، تبعتها أخرى تتضمّن النصَّين العربي واللاتيني، الواحد في إزاء الآخر، دلالة على الأمانة لنصّ الفولغاتا. هكذا نفهم أيضًا سبب طباعة الكتاب المقدس كاملاً في العربية واللاتينيّة سنة ١٦٧١، حيث النصّ العربي هو ترجمة أمينة للفولغاتا! إنّ ما شكّل قبلاً انفتاحًا على الكنائس الشرقيّة واهتمامًا بها، انطلاقًا من ردّة فعلٍ على الحركة الإصلاحية التي خسّرت كنيسة الغرب عددًا لا بأس به من أبنائها لصالح الحركة المذكورة، قد كان بذات الوقت رجوعًا صريحًا وحاسمًا إلى ما كان يُعتبر النصَّ الوحيدَ الأصحَّ، أي الفولغاتا.

نحن إذًا أمام حركة تعريب، وليس أمام حركة نقل علميّة نقديّة تستند إلى مقارنةِ ما كان متوفِّرًا من مخطوطات، للخروج بنصٍّ مثبت يكون موضوعَ ثقة.

٣) الكتاب المقدس باللسان العربي، روما ١٦٧١

تكمن أهمية **الكتاب المقدس باللسان العربي** في أنه أول ترجمة كاملة للكتاب المقدس في اللغة العربية، التي عُرفت بـ «طبعة البروباغندا» أو بـ«طبعة ١٦٧١»؛ ودعاها يوسف داود، محقِّق الطبعة الموصلية، «الترجمة الشرقية» لأنها بنظره الأقدم، وأساس الترجمات اللاحقة، ومن بينها نصّ مخايل الرزّي (مطران دمشق الماروني) الذي عمل فيه سعيد نيرون، والذي اعتمدته الكنائس الكاثوليكية الشرق–أوسطية الحديثة. في الواقع، كان الرزّي قد نقلها إلى روما حيث هذّبها بعض تلامذة المدرسة المارونية وشذّبوها لتأتي منسجمة مع الفولغاتا ومطابقة لها. على مصطلحات ترجمة ١٦٧١ هذه ارتكزت إذًا الترجمات العربية المهمّة للكتاب المقدس التي صدرت في القرن التاسع عشر.

– **تعريف**[٨]

عنوانه الكامل: **الكتاب المقدس باللسان العربي مع النسخة اللاتينيّة العامّة المطبوعة بأمر المجمع المقدس المتوكل على انتشار الايمان المسيحي.**

«طُبع سنة ١٦٧١ على مطابع المجمع المقدس المتوكّل على انتشار الايمان المسيحي في روما».

شارك فيه المطران سركيس الرزّي[٩] († ١٦٣٥)، ويوحنا المعمدان الحصروني الدومنيكي[١٠]، ونصرالله شلق العاقوري[١١]، وإبراهيم

(٨) **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم** (المكتبة البولسية، لبنان، ٢٠٠٣) ٣٤٠.
(٩) **المحيط الجامع**، ص ٥٧٣–٥٧٤.
(١٠) **المحيط الجامع**، ص ٤٦٣–٤٦٤.
(١١) **المحيط الجامع**، ص ٧١٨.

الحاقلاني[١٢]؛ ومن أوروبا توما أوبيسيتي الفرنسيسكاني من نوفار († ١٦٣٢)، والأب فيليب غوادانيولي († ١٦٥٦)، والأب دومينيك جرمانوس من سيلازيه († ١٦٧٠).

ظهر الكتاب في مجلدات ثلاث:

الأوّل: من سفر التكوين حتى سفر أخبار الأيام الثاني.

الثاني: من سفر عزرا حتى سفر المكابيين الثاني.

الثالث: العهد الجديد بكامله.

بدأ العمل في هذا الإنجاز سنة ١٦٢٥، فقرأ العاملون فيه النصوص العربيّة، وقابلوها بالمصدرَين العبري واليوناني، واختاروا «الأصحّ والأصلح والموافق للمصدرين العبري واليوناني»، علمًا أنّ الترجمة القبطية كانت حاضرة في هذا المشروع. ويضيفون: «بعد هذا، جبروا الناقص وأصلحوا الفاسد»، ودليلهم إلى ذلك الفولغاتا أو الشعبيّة، أي الترجمة اللاتينيّة؛ هذا ما دفع بالناشرين إلى إدراج النص اللاتيني بموازاة العربي.

– تأثير الفولغاتا في أسماء الكتب المقدسة

يتبين لنا جليًّا تأثيرُ الفولغاتا على طبعة سنة ١٦٧١ في روما، من خلال معطيات عدة، نستعرض بعضها: بالنسبة إلى العهد الجديد، تستعمل هذه الطبعةُ التسميةَ «الإبراكسيس»، التي تعرّبها بـ «أخبار الرسل»، نقلاً حرفيًّا عن اليونانيّة πραξις؛ كذلك هو الأمر بالنسبة إلى الرسالتَين إلى أهل فيليبي وإلى أهل قولوسي، اللتَين تسمّيهما تباعًا «فيليبسيوس» (Φιλιππησιους)، و«قولوسايس» (Κολοσσαεις)، وسفر الرؤيا التي تدعوها «أبوكاليبسيس»، كما اليونانية Αποκαλυπσις.

(١٢) المحيط الجامع، ص ٤٣٨.

نسوق ذات الملاحظة حول بعض أسماء الكتب العهد القديم؛ يستعمل المعرّب التسمية «اللاويين»، مثلاً، الواردة أساسًا في الترجمات اليونانية (Λευιτικον) واللاتينية (Leviticus)، وليس كلمة «الأحبار». ونشير إلى أن الكتب القانونية الثانية (deutérocanoniques) هي مضافة إلى الأسفار التي يعتبرها اليهود قانونية، تمامًا كما تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية.

– أثر نظرية الفولغاتا حول لغة الكتاب المقدس

يرى محرّر المقدمة أنّ الأنبياء والرسل كتبوا الكلام الذي أنزله الله، بلغاتهم، كلٌّ واحدٍ منهم بلغة بلدته أو قومه، ثم من بعدهم نقل إلى ألسنة مختلفة ليعرف جميع الأمم ما أوحى به الله لخلاصهم أجمعين. ويشدّد المقدّم للأناجيل على "النسخة العامّة المعروفة التي تستعملها الكنيسة المقدسة الرسولية الجامعة الرومانية، التي، لا في المعاني فقط بل وفي أكثر الألفاظ، توافق المتن الأصلي أي العبراني واليوناني.

ويلفت الكاتب النظر إلى «إمكانية ورود شيء ناقص أو مفسود في بعض نسخ الكتاب المقدس، عند الروم وعند غيرهم من الطوائف من سهو الكاتب أو من قلّة اجتهاد المترجمين». ويذهب أبعد من ذلك، فيفترض أيضًا أنه قد يكون هناك، في الأصل العبرانيّ واليونانيّ، أيضًا نقص يسير أو غلط صغير»، مبررًا ذلك بقوله بأنه «بالكد يوجد كتاب من الكتب، وإن كان هو صحيحًا كاملاً، إلا وفيه غلط أو نقص»، وبالنتيجة «لا يقل أحدب إنه منطلقًا كتابًا مفسود مرفوض».

– تأثير نظرية الفولغاتا حول نسخ الكتب المقدسة

يقول كاتب المقدمة : «إنّ نسخ الكتب المقدسة هي كثيرة بحسب كثرة اللغات والشعوب». ويفيد بأمر نعتقد أنه بحاجة ماسة حتى يومنا إلى البرهان الأكيد، وهو التالي: «كانت قديمًا النسخة العربية أيضًا مشهورة تامة في الألفاظ،

صادقة في المعاني، حين ظهر في نواحي الشرق دين المسيح؛ لكن من بعد ما نقص هناك العلم والإيمان خسرت أيضًا النسخة المذكورة، وبقيت منها ملاحق قليلة فقط، وفيها غلطات ونقصات غزيرة، ذلك من قلّة النسّاخ والعلماء ومن كثرة الغشومة والجهالة».

– تأثير إسلامي في بعض مفردات النص العربي

نلاحظ وجود شيءٍ من التأثير الإسلامي في استعمال بعض المفردات الواردة خاصّة في مقدّمة الطبعة التي نحن بصددها؛ مثلاً: يضيف المعرّب كلمتَي «سبحانه» و«تعالى» عندما يتكلّم على الله، فيقول: «الله سبحانه»، «الله تعالى»، الخ. ويستعمل أيضًا الفعل «أنزل» الذي يعتمده المسلمون للكلام على «الإنزال» المتعلّق بمصدر القرآن، فيقول، مثلاً: "أنزل الله كلامه الكريم إلى رسله الطاهرين وأنبيائه المختارين قانونًا تميمًا لحقيقة الدين ورشادًا أمينًا للإيمان المستقيم». وفي مكان آخر يقول: «ولو لم ينزل الله تعالى إلى عباده الأطهار أقواله في الكتب المقدسة»...

– تحليل لنص مختار من الكتاب المقدس باللسان العربي: مز ٥١(٥٠)

من المفيد أن ندخل في تفاصيل نصّ مختار من ترجمة ١٦٧١، لنكتشف بعض خصائص ذاك الإنجاز ومميزاته. وقد ارتأينا أن نعتمد المزمور ٥١(٥٠)، نظرًا لمعرفة الكثير من القرّاء به. ندرج بدايةً النص الحرفي وبذات الترتيب الوارد في الطبعة التي نحن بصددها، ثم نقوم بتحليل بعض النقاط الملفتة.

نص مز ٥١(٥٠):

المزمور الخمسون[١٣]

للتمام

مزمور داود اذ جا اليه

ناثان النبي إذ دخل

إلى بيت

سبع[١٤]

٣ *إرحمني يا الله كعظيم رحمتك

ومثل كثرة رأفتك امحي ماثمى

٤ * اغسلني كثيرًا من اثمى ومن خطيتى طهّرني

٥ * لأني أنا عارفًا باثامى وخطاياى قبالى في كل حين

٦ * لك وحدك اخطيت والشرّ قدامك صنعت

لكيما تصدق في أقوالك وتغلب في محاكمتك

٧ * هانذا بالاثام حُبل بى وبالخطايا ولدتنى أمي

٨ * لانك قد أحببت الحق واوضحت لي غوامض حكمتك ومستوراتها

٩ * تنضحني بالزوف فأتطهر وتغسلني فأبيضّ أفضل من الثلج

١٠ * تسمّعني سرورًا وبهجةً فتجدل عظامى الذليلة

١١ * اصرف وجهك عن خطاياي وامحي كل مآثمي

---

(١٣) **الكتب المقدسة باللسان العربي** مع النسخة اللاطينية العامة المطبوعة بأمر المجمع المقدس المتوكل على انتشار الايمان المسيحي لمنفعة الكنايس الشرقية (مطبعة المجمع المقدس لنشر الايمان، روما، سنة ١٦٧١) ٢٢٩.

(١٤) تعمّدنا إدراج رأس المزمور كما هو مرتّب في طبعة روما التي نحن بصددها، وذلك لأن الناشر قد رمى إلى إبراز ما يريد أن يركّز عليه.

١٢ * قلبًا نقيًا أخلق فيّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدد في حشاي
١٣ * لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منّي
١٤ * امنحني بهجة خلاصك وبالروح الرياسى اعضدني
١٥ * فأعلّم الأثمة طرقك والكفرة اليك يرجعون
١٦ * نجّني من الدما يا الله اللهم إله خلاصي ويبتهج لساني بعدلك.
١٧ * يا رب افتح شفتيّ فيخبر فمى بتسبحتك لأنك لو أثرت بالذبيحة لقد كنت الان أعطى لكنك ما تسرّ بالمحرقات
١٨ * فالذبيحة لله روح منسحق القلب المتخشّع والمتواضع ما يرذله الله
١٩ * اصلح يا رب بمسرتك صهيون لتبنا أورشليم
٢٠ * حينيذ تسرّ بذبيحة العدل وقربان ومحرقات حينيذٍ يقربون على مذابحك العجول.

دراسة مزمور ٥١(٥٠)

من أجل تبيان أصول الترجمة المعتمدة في **الكتب المقدسة باللسان العربي**، استلّينا المزمور الخمسين (٥١) لنقوم بدراسته، طبعًا من الناحية اللغويّة بالدرجة الأولى.

يُلاحظ قارئ المزمور أنّ مفردات هذا الأخير تتبع عن قربٍ نص الفولغاتا المُدرَج بموازاة النص العربي في الطبعة ذاتها، مع العلم أنّ التقيّد المُطلق بالنص اللاتيني غير ممكن بالفعل، كما يبدو.

ويُلاحظ مَن يقرأ المزمور ذاته، في ترجمة الآباء اليسوعيين[١٦]، مثلاً، أنّ معظم المفردات متقاربة، وأنّ الترجمة الأخيرة قد أدخلت بعض التعديلات التي لا بأس بها.

سنقارن أولاً بين الترجمتَين اللاتينيّة[١٧] والعربيّة اللتَين في طبعة روما ١٦٧١:

(١٦) **الكتاب المقدس** (دار المشرق، بيروت، ١٩٩٧): «(المزمور ٥١ (٥٠))»، ص ١١٨٣–١١٨٥.

(١٧) Biblia Sacra Arabica Sacrae Congregationis de Propaganda Fide Iussu edita ad usum Ecclesiarum Orientalium : Additis è regione Bibliis Latinis Vulgatis (Typis eiusdem Sacrae Congregationis de Propaganda Fide, Romae, anno MDCLXXI) 229-230.

يُدرج النص اللاتيني المرجع الذي يفيد عن زيارة النبي ناتان لداود بعد دخوله على بِتشَبَع، وهو ٢ ملوك ١٢، ولا يفعل كذلك للنص العربي.

يكتب الاسم «بِتشَبَع»، متأثراً باللاتينيّة (Bethsabee)، «سبع».

يُهمل النصّان اللاتيني والعربي جزءًا من بداية الآية الأولى الموجود في العبرية[١٨] (לַמְנַצֵּחַ)، أي: «لإمام الغناء».

يُعرّب الكلمة اللاتينيّة secundum (آ ٣) مرّة بحرف الجرّ «ك» («كعظيم»)، وأخرى بأداة التشبيه «مثل»، علمًا أنّ العبريّة تستعمل ذات حرف الجرّ (כ)، «ك».

يرتكب ناقل المزمور إلى العربيّة أخطاءً لغويّة عدّة، منها على سبيل المثال: «امحى» (آ ٣ و ١١) بدلاً من «أمحُ»، «نجّيني» (آ ١٦) بدلاً من نجّني»، «لتبنا» (آ ٢٠) بدلاً من «لِتُبْنَى»، «عارفًا» (آ ٥) بدلاً من «عارفٌ»...

ويُلاحَظ أنّه لا يضع نقطتين لحرف «الياء»: «امحى»، «ماثمى» (آ ٣)، «خطيتى»، «طهّرنى» (آ ٤)، «لانى»، «باثامى»، «وخطاياى» (آ ٥)...

يُهمل المعرّب الهمزة على كرسي الياء: «اخطيت» (آ ٦) بدلاً من «خطئت»، و«حينيذ» (آ ٢١) بدلاً من «حينئذٍ»...

يعرّب عبارة contra me اللاتينية بكلمة «قبالى» (آ ٥) بدلاً من «أمامي»، كما في الترجمة اليسوعيّة، أو «إزائي» إذا أردنا نقلاً حرفيًا للعبريّة נגדי.

آ ٦: يُعرّب كلمة tibi بـ«لك»، بدلاً من «إليك».

آ ٩: يكتب «بالزوف» بدلاً من «بالزوفا».

يستعمل الفعل «فأتطهّر» بدلاً من «فأطهر»، ممّا يجعل الفاعل في الصيغة الأولى المتكلّمَ، وبالتالي يكون فعل التطهّر منسوبًا ليس إلى الله بل إلى الخاطي، وهذا ما يتناقض مع رغبة المستغيث في المزمور الذي يسأل الله ذلك.

---

(١٨) Biblia Hebraica Stuttgartensia (Deutsche Bibelgesellschaft, Stuttgart 1967/77): "Ps 51", p. 1133-1134.

يستعمل أفعال التفضيل «أفضل من»، بدلاً من الفعل «أفوق»، علمًا أنّ العبري يستعمل فقط حرف الجرّ ليعبّر عن التفوّق على الثلج في البياض إذ يقول: ומשלג ، أي «من الثلج».

آ ١١: يُترجم كلمة visceribus meus بـ «حشاي»، بصيغة المفرد، واليسوعيّة بـ«باطني».

آ ١٤: «وبالروح الرياسي» هي ترجمة للاتينيّة et spiritu principali، بينما لدينا في العبريّة، كما في اليسوعيّة، ורוח נדיבה أي: «روحٌ كريمٌ»...

آ ١٨: يُترجم اللاتينيّة quoniam بـ «لأنّك» الموازية للعبريّة כי، بينما نقرأ في اليسوعيّة: «فإنّك».

يستعمل المعرّب أداة النفي «ما» (آ ١٨) بدلاً من «لا».

في آ ١٨ يُعرّب الفعل العبري תחפץ بـ«آثرت»، نقلاً عن اللاتينيّة voluisses، بينما اليسوعيّة بـ «تهوى».

يُعرّب اللاتينيّة iustitiae بـ«العدل» (آ ٢١)، بينما اليسوعيّة بـ «البرّ» المناسبة أكثر للعبريّة צדק التي تحمل أيضًا معنى «العدل»، ولكن إطار النص هنا يجعلنا نفضّل كلمة «البرّ».

يُعرّب اللاتينيّة oblationes بـ«وقربان»، بينما هي في العبريّة עולה التي تعني حرفيًا «مُحرقَة»؛ وكلمة holocausta بـ«محرقات»، بينما هي في العبريّة וכליל التي تعني «تقدمة».

نتبيّن من هذه المعاينة السريعة أنّ في هذا التعريب تعثّرًا ملحوظًا، وإن محدودًا، في اختيار المفردات المناسبة. هذا ما يجعلنا نبدي الإعجاب بمجهود مَن قاموا بهذا الإنجاز، خاصة بما أدخلوه من تحسينات على النقل المحقّق من قبلهم.

خاتمة

تشكل هذه الترجمات شهادات تاريخية، ولاهوتية، وتفسيرية ثمينة. إنّ ما أوردناه في هذه العجالة ما هو سوى عيّنات ليس إلاّ عن الترجمات العديدة المحفوظة وتلك التي لم يبقَ لها أثر، ولا نعرف عنها إلاّ ما قيل فيها. بالتأكيد، سيكون من الضروريّ القيام بدراسة معمّقة وشاملة حول مسألة تعريب نصوص الكتاب المقدس عبر العصور، والتي شكّلت محطّات من التقدّم الحميد في توضيح النص البيبلي في اللغة العربية. ولا بدّ من التنويه بهذه الحركة المباركة والمتواصلة من نقل الكتب المقدسة إلى العربية، التي تنمّ عن هَمّ علميّ وكنسيّ زيّن وما يزال الكثيرين من خدّام الكلمة.